

ماذا تعني الجرة المشروخة؟

إن الأستاذ المربي "فتح الله كولن" شخصية جامعة، وأحاديثه تفيض بمعان عميقة تخاطب طبقات مختلفة من الناس، ولا جرم أن من يستمع إلى مثله من العلماء يضرب بحظّ وافر من العلم على حسب مستواه، وأكثر الناس فهمًا هم أغزر الناس علمًا، فمن بلغ مرتبة سامية في العلم ألقى كثيرًا من الحقائق الخفية بين السطور، ورأى في كلمة واحدة دروسًا عظيمة لا يتسع لها كتاب؛ فتراه مثلاً وهو يشرح حديث رسول الله ﷺ: "إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَنَّهُتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرَشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ..."^(١) يصف ما في الحديث بـ"الخشية ذات البُعد الالتجائي"، فيسحر من يسمعه بهذا المعنى النفيس، فهو ذو دلالات عميقة عظيمة تملأ الصفحات.

وها نحن نسَمِّي سلسلتنا هذه بـ"الجرة المشروخة" اعترافًا بعجزنا عن فهمه كما ينبغي، وقصورنا عن تشرب ما يطرحه علينا من حقائق، وتقصيرنا في تسجيلها والاستفادة منها وإفادة الآخرين بها؛ ومرادنا بعنوان السلسلة المذكور الإشارة إلى أن ما نقدمه ليس إلا مرآة أصغر بكثير من أن تعكس علم أستاذنا الجليل وحياته الروحية والقلبية وزُهدَه وتقواه؛ وقد استوحينا هذه الفكرة من قصة ذكرها مولانا جلال الدين الرومي:

في قديم الزمان نصب سلطان فسطاطه على نهر الفرات، فأَحَبَّه الناس، لأنه فتح قلوب العباد لا البلاد فحسب؛ أَجَلَ، أَحَبَّوه، وتمنَّوا أَن لو تعارفوا، ليحظوا بحبه ورضاه، فهو أَهل بر وخير، لذلك كانوا يأتونه في بعض الأيام ويقدمون له الهدايا؛ وذات يوم قدَّم الأغنياء والميسورون هدايا ثمينة للسلطان، فراح أَحَدُ الفقراء يبحث عن هدية تليق بالسلطان، فلما لم يجد شيئاً خطرت على باله جرة مشروخة تقبع في ناحية من بيته، فأخذها وملاها بماء عذب من سبيل القرية، وقصد بها السلطان، فقابله أَحدهم وسأله عن صنيعه ووجهته، فلما عرَّفه غايته قال له مستهزئاً: "أما تعلم أَن الأنهار تجري من تحت قصر السلطان، والماء الذي في جرتك من العين السلطانية أيضاً؟" فامتقع لون الفقير وغصَّ وانعقد لسانه، ثم قال: "لا ضير، فالسلطنة تليق بالسلطان، والفقير يليق بالفقير؛ فإن لم يكن لديَّ هدية قيِّمة أقدمها للسلطان فحسبي أَنني أَحمل قلباً مفعماً بحبه همّه أَن يقدم ماء عينه إليه".

وقد عزمنا على تقديم هدية للسلطان بجرتنا المشروخة التي بين أيدينا؛ عسى أَن تكون قراءتكم لهذه اللطائف التي أفاضها الله علينا هي هديتنا؛ ونحن نجزم بأن سقي كثيرين من هذا المنهل العذب المورود فيه شكر لنعمة القرب من هذه العين المباركة.

بادئ الأمر كنَّا ندوِّن شيئاً من الملاحظات نستعين بها في تذكر ما نسيناه من أحداثه، لكن كان يفوتنا الكثير، فشرعنا في تسجيلها ثم تفرغها بدقة على الحاسوب لنقل ما يذكره تآمراً وافيّاً، ثم نقوم بعملية التبييض والتنقيح والتدقيق، ثم نتذاكر نتاج ذلك فيما بيننا.

وها نحن شرعنا نقدِّم لكم ماء الحياة -الذي ملأنا به جرتنا- في

هذه السلسلة "الجرة المشروخة"، وأصلها جزء من موقعنا الإلكتروني www.herkul.org؛ وإنما فعلنا ذلك خشية أن يكون في احتكارنا ليناييع أفق القلب والروح نكران لهذا الجميل.

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

سؤال: ما من نبي من الأنبياء إلا وحلت به مصائب، فتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، وأيقن أن النصر والفرج من عند الله؛ فما مكانة "الحَسْبَلَةُ"^(٢) في حياة رجال الخدمة وهم يواجهون كثيراً من المشكلات ويؤمنون أحياناً بالإخفاق؟

الجواب: لا يتغلب الإنسان -وهو العاجز الفقير المحتاج- على مشكلاته إلا باللجوء إلى الله تعالى القدير المطلق الغني المطلق؛ لذا فمن الأهمية بمكان أن يلجأ العبد إلى الله تعالى إن نزلت به مصيبة أو بلاء ويقول: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ".

إن هذا الذكر دليل على إيمان الذّاكر بأن الله تعالى هو الوكيل الذي إليه مرّدُ أمورنا كلّها، فإن توجهنا إليه فلن يردّنا خائبين، ولن يكلنا أبداً إلى أنفسنا، ولن يدعنا وحدنا.

بَطْلُ لَا مِثِيلَ لَهُ فِي أَفْقِ الثِّقَةِ

قال الله لرسوله ﷺ:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمِ﴾ (سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١٢٩/٩).

(٢) الحَسْبَلَةُ: هي قول الإنسان: "حَسْبِيَ اللَّهُ" أو "حَسْبُنَا اللَّهُ".

يقول بديع الزمان سعيد النورسي في تفسير هذه الآية: "معناها: إذا تولى أهل الضلالة عن سماع القرآن، وأعرضوا عن شريعتك وستتك، فلا تحزن ولا تغتم، وقل: "حَسْبِيَ اللَّهُ"، فهو وحده كافٍ لي، وأنا أتوكل عليه؛ إذ هو الكفيل بأن يقيض من يتبعني بدلاً منكم، فعرشُ العظيم يحيط بكل شيء، فلا العاصون أفلتوا منه، ولا المستعِينون به حُرِموا مدده وعونه"^(٣).

ووردَ في هذا دعاء أوصانا رسول الله ﷺ أن ندعو به صباح مساء:

"يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ"^(٤).

وإن جاز لنا أن نشرح هذا بتفصيل أكثر فلنقل: "اللهم إني أسألك وأنا أسير في سبيلك ألا تدع شيئاً من الفسق والفجور - يضر بلباب الأمر ويخلط الحابل بالنابل - يتسلل إلى عملي؛ اللهم لا تكلني إلى نفسي ولا إلى الشيطان طرفة عين، فإنك إن وكلتني لم أدر في أي غي سأتردى؛ ولو تحكمت في النفس الأمارة - وهي ليست محل ثقة - فأنا لا محالة مغلوب، أما إن كنت وكيلي فلسوف أهتدي إلى الطريق المستقيم وأتمكن من السير عليه؛ فإن النفس والشيطان لا يد لهما تمتد إلى عمل تحيطه سبحانه بحولك وقوتك.

سرُّ الأحديّة يتجلّى في نور التوحيد

لما أعرَضَ قومُ سيدنا إبراهيم عليه السلام عنه لجأ هو ومن معه إلى الله تعالى متوكلين عليه، فجابها كل تهديد، وثبتوا أمام الكفار، وبدؤوهم بقولهم:

﴿إِنَّا بَرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (سُورَةُ الْمُؤْتَفِكَةِ: ٤/٦٠).

(٣) سعيد النورسي: اللمعات، اللمعة الحادية عشرة، النكتة الرابعة، ص ٧٥.

(٤) النسائي: السنن الكبرى، ٢/٩، الطبراني: المعجم الأوسط، ٤/٤٣، الحاكم: المستدرک، ١/٧٣٠.

وهذا إعلانٌ منهم أنه لا قيمة لما يُعبد من دون الله، بل لا تستحق تلك الآلهة شيئاً مما يُنسب إليها، وليست جديرة بأي تكريم أو تعظيم؛ ثم قالوا بلسان من لا حيلة له -معبرين عن تجلي سرّ الأحدية في نور التوحيد-:

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۖ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سُورَةُ الْمُؤْتَحَةِ: ٤/٥٠-٥١).

وأستطرد لأشير إلى المسألة التالية: إذا أردنا أن ندرك المنزلة الرفيعة لسيدنا رسول الله ﷺ مقارنةً بالأنبياء الآخرين فلنعلم أن كل تبجيل وتقدير من الله تعالى له كان من سبقه من الأنبياء يطلبه من الله تعالى طلباً؛ فمثلاً: سأل سيدنا موسى عليه السلام ربه أن يشرح له صدره، فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (سُورَةُ طه: ٢٠/٢٥)؛ أما سيدنا رسول الله ﷺ فقد أُوتي هذا الفضل في مقام الامتنان؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ فَشِّرْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (سُورَةُ الشُّرَح: ١/٩٤).

وتذكر الآيات السابقة -في مقام تكريم الله لرسوله ﷺ أن الله تعالى هو حسبه ووكيله، أما سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن معه فقد سألوا الله تعالى أن ينعم عليهم بهذا الفضل.

هذا وفي آية أخرى أن سادتنا الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم كانوا يلتجئون إلى الله تعالى، ويعتمدون عليه عند لقاء العدو:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٧٣/٣).

أجل، قال سادتنا الصحابة "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" في موضع يستدعي خوف الإنسان ووجله وقلقه وحيرته في الظروف العادية، وكانوا يترقبون لقاء العدو وهم في حالة تحفزٍ قصوى.

رسالة الآية الحسبية^(٥)

يقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله: "حينما جرّدتني أرباب الدنيا من كلّ شيء، وقعت في خمسة ألوان من الغربة، فلما أوشكت جذوة الأمل تنطفئ وطأطأت رأسي يائساً إذا بالآية الكريمة ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٧٣/٣) تغشيني فائلة: أقرّاني جيداً بتدبير وإمعان، فشرعت أقرؤها خمسمائة مرة كل يوم، وكانت كلما تلوّتها تكشف عن بعض أنوارها وفيوضاتها الغزيرة..."

وكلما تليقُ ذلك الدرس من تلك الآية الكريمة أحسستُ بقوة معنوية عظيمة، وشعرتُ أنني أملك قوة أتحدّى بها العالم بأسره لا أعدائي الماثلين أمام عيني فحسب^(٦).

حقاً إن من انشرح صدره هكذا لا يضرّه همٌّ ولا كدر، ولا يصده عن غايته سجنٌ أو تضيق؛ فسجنه "مدرسة يوسفية"^(٧) يؤدّي فيها رسالته، بل لو تأتى له الخروج من السجن فلربما أثر البقاء حتى يُتمّ ما شرع فيه من أعمال مباركة لتصبح نافعة لمن في السجن.

هذا هو الانشراح الحقيقي والفسحة والسَّعة الحقيقية؛ أما مَنْ ضاقت به حياته الروحية والقلبية فلا شك أن الضنك والاضطراب بانتظاره، وأن الآلام تلو الآلام ستدهمه حتى إنه لا يجد مخرجاً من هذا الضيق وإن حاز الدنيا بأسرها.

(٥) رسالة الآية الحسبية: من مؤلفات الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وهي "الشعاع الرابع" من كتاب "الشعاعات"؛ هذه الرسالة عبارة عن نكتة مهمة للآية الكريمة ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ١٧٣/٣).

(٦) سعيد النورسي: الشعاعات، الشعاع الرابع، ص ٦٧.

(٧) المدرسة اليوسفية: اسم سمي به الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي السجن التي سُجن فيها هو وطلابه "طلاب النور" مستلهماً مما قام به سيدنا يوسف عليه السلام في السجن من إرشاد؛ فإن الأستاذ وطلابه اقتفوا آثار النبي الجليل يوسف عليه السلام في هذا، وهدى الله على أيديهم كثيراً من أهل تلك السجون.

أجل، إن مَنْ لم يستطع أن يرقى بعالمه الداخلي يتعذر عليه أن ينجو من معاناته وضيق صدره وإن ملك مصانع تنتج له يومياً آلاف اليخوت وأفخر السيارات، بل ولو أحرز كل الإمكانات المادية؛ أما الراحة والسعادة الحقيقية فهي ذلك الانشراح الذي يقذفه الله في قلب العبد، فإذا نزلت بهذا العبد مصائب كالجبال صهرها في قلبه وأحالها إلى ألعاب نارية تبعث السعادة فيمن حوله.

ولعل تلك التجليات التي أُلقيت في قلب الأستاذ النورسي رحمته الله تفيض على قلوبنا حين تطبع مشكلاتنا آثارها في عالم خيالنا لتزول تصوراتنا وأفكارنا؛ نعم، إن مَنْ دأب على عقد صلة وثيقة مع الله وهرول نحو الإيمان الكامل والإخلاص الأتم خاصة قد يحظى بأكثر من هذه التجليات، لكن معظمنا لا ينصت لحديث قلبه ولا يكثرث لخواطر كهذه قد ترد على عقولنا بل نعدّها أموراً مألوفة ترد على خاطر كل إنسان، وبذلك نغفل هذا الضرب من التجليات؛ أما العظماء فلم يكونوا يعدونها أموراً عبثية مألوفة، بل يرونها إنذارات وتحذيرات، ويقولون: "لا جرم أن لهذه الأمور معنى وحكمة"؛ والأستاذ النورسي عدّ هذا المعنى النفيس الذي ألهمه قلبه ذا قيمة كبيرة، فُعني به، وبدأ يردد "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" خمسمائة مرة في اليوم.

إن في تكرار الأستاذ لهذه الكلمة المباركة خمسمائة مرة يومياً دلالة على أنّ للتكرار حكمة تساعد على فهم المسألة بعمق؛ فإذا أردنا أن نحصن أنفسنا من شر الأعداء فلنلجأ إلى حول الله وقوته، ولنشجذ هممتنا ونردد كل يوم خمسمائة مرة بل ألف مرة:

"حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"

ويمكن أن نقوم بهذا كما نفعل في قراءة بعض الأذكار إذ نقسمها فيما بيننا: فلان كذا مرّة وعلان كذا مرة؛ لنحظى بثواب الشركة في الأعمال الأخروية، فلو اجتمع عشرة منّا وقرأ كلّ منهم هذه الكلمة المباركة مائة مرة نرجو أن يُكتب لكل واحد ثواب ألف.

وفي النجاحات "حَسْبِيَ اللَّهُ" أَيْضًا

على القلب المؤمن أن يلجأ إلى الله تعالى وقت الظفر والنجاح كما يلوذ به وقت المصائب والكوارث، وهذا يعني أن مدى الكمية والكيفية في مسألة الحسبلة يختلف من شخص إلى آخر؛ فمنهم من يقول "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" في المصائب أو المشكلات المعضلة فقط، ويتوجه إلى الله تعالى بهذا الذكر عندما يقع في ورطة وتنقطع به السبل، فتُحلّ مشكلاته بإذن الله وعنايته ومزيد فضله وإحسانه؛ ومنهم من يقوله على الدوام، ويلجأ إلى حول الله وقوته صباح مساء، لا سيما من انكشفت له الآفاق، وسما فبلغ أفق السر والروح، فإنّه يغدو وكأنه يشعر بأثر قدرة الحق تعالى حتى في أدنى أموره الخاصّة.

أجل، إنهم يعيشون في معارج "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" وإنّ في أيسر الأمور التي يُعتقد أن تحلّها الإرادة الإنسانيّة في الظاهر، مثل نظم الخيط في الإبرة أو وضع اللقمة في الفم، بل إنهم يفكرون أحياناً كالجبرية المتوسطة، ويقولون بـ"الاستطاعة مع الفعل"، وليس لهم من أفعالهم سوى القصد والميل بل سوى التصرف في الميل، ويكررون على الدوام: "لا خالق إلا الله"؛ وهذا في الحقيقة تعبير عن التوحيد الخالص.

والحقّ أنّ أتباعنا للسنة النبوية الشريفة بأن نكرّر سبع مرات في أدعية الصباح: "حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"

يدلّ أننا أعلنّا أنه ﷺ هو وكيل كل شيء، الكفيلُ بحلّ ما يعرض لنا من مشكلات نهارًا، فإذا ما أقبل الليل وكررنا هذا الدعاء مرة أخرى نكون قد استدعنا ذا الرحمة الواسعة ليلنا.

اللهم مُنّ علينا بأن ننسج كلّ لحظة من حياتنا أوشحةً نورانية من السُّنة السَّنيّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

ساعات الإصغاء إلى أرواحنا: الأشهر الثلاثة

سؤال: هلّا تُسدُّون لنا نصيحةً نتمكّن بها من الاستشعار بنشوة الأشهر الثلاثة المباركة، والاستفادة الحقّة من أجوائها الروحية والمعنوية؟

الجواب: ننوّه بدايةً بأنّ الأشهر الثلاثة هي أعظمّ الأوقات المباركة؛ ففيها قد يصبح المرء أقرب إلى الله تعالى، ويغدو أهلاً لأن يتغمّده الله بواسع رحمته، فينسلخ من ذنوبه ويسيح في أفق القلب والروح.

والحقّ أنّ المرء في حاجة دائمة كلّ عام إلى فترة نقاهة سماوية، يزيّج فيها نفسه، ويربّي روحه، ويصفّي قلبه؛ وهذه الأشهر المباركة من أكبر الوسائل لتحقيق هذا.

ولا جرم أنّ التخلص من الأعباء الجسمية والنفسية في هذه الأوقات المباركة والارتقاء إلى أفقٍ معين والوصول إلى مستوى معين يتطلّب بدايةً إجراء عملية خطيرة من التفكير والتذكّر، ولا بدّ عند إجرائها من أن يفتح المرء قلبه وروحه دائماً على المعنويات، أي إنّ عليه أن يحاول فهم المسائل الإيمانية والقرآنية بملكاته الذهنية والعقلية بالمدارسة والمذاكرة، وأنّ يعبّ شيئاً فشيئاً من سبل الأنوار والمعنويات الهادرة عليه.

التَّوَجُّهُ يُقَابِلُ بِالتَّوَجُّهِ

لا يزال كثير من الناس يتفوهون بطيب الكلام وأروع البيان حول هذه الأشهر المباركة ولياليها وأيامها وفقاً لمستواهم وسعة أفقهم، لافتين الأنظار إلى جمالياتها التي تغذي حياة المؤمن.

والوقوف على هذه المؤلفات -التي تُقدَّر قيمتها بالكنوز- كلمةً كلمةً، وتحليلها وفهمها واستيعابها بالمدارس والمناقشة له أهمية بالغة في فهم الواردات واستشعار الفيوضات التي تنهل على الإنسان بفضل هذه الأشهر المباركة.

أجل، لا بدّ من تجنّب القراءة السطحية الشكلية ومن سبر أغوار المسألة حتى تتحقّق الاستفادة الكاملة مما كُتِبَ عن الأشهر الثلاثة، وإلاّ تعذّر على المرء أن يستفيد تمام الاستفادة ممّا قرأه أو سمعه.

ولا يستطيع المرء أن يتلذذ ويستشعر حقّاً بجماليات هذه الأوقات المباركة وأذواقها ولذائذها التي يجد طعمها في قلبه إلا بعد أن يعرف ويضع في حسابه أنها أشهر جمع الغنائم، وبعد أن يستغلّها بليها ونهارها ولا يضيّع لحظةً منها؛ فمثلاً إن لم يعزم المرء ويصمّم على قيام الليل ولم يتوجه إلى الله ولم ينهل من فيوضات الليالي فإنه يتعذر عليه أن يشعر بعمق جماليات هذه الأشهر المباركة أو يتلذذ أو يستمتع بها.

أجل، إن لم يبدأ الإنسان هذه الأشهر بشدٍّ معنوي قوي، ولم ينذر نفسه للعبادة استشعاراً لحقّ العبودية، ولم يفرغ نفسه تماماً لهذا الأمر، فلن يمكنه استشعار ما في هذه الأوقات المباركة وإن انهمرت عليه الطافها بغزارة، بل قد يقيّم ما قيل عنها حسب إدراكه واستعداده، ويعدّه تكلفاً وخيلاً.

أجل، إن استشعار الفيوضات التي تغمرنا من رأسنا إلى أخمص قدمينا في هذه الأشهر المباركة مرهونٌ بدايةً بالإقرار بها والإقبال عليها؛ لأنَّ التوجُّه يُقابِل بالتوجُّه، فإن لم تُقبلوا على هذه الأشهر بروحها ومغزاها فلن تفتح لكم أبوابها، بل إنَّ الكلمات الرنَّانة البراقة التي قيلت عنها تنطفئ وتذبل في أنظاركم وكأنَّها جسدٌ لا روح فيه ولا حياة؛ بل إنَّ عبارات ابن رجب الحنبلي التي تعزف على الوتر الحساس وأقوال الإمام الغزالي التي تبعث العشق والشوق في القلوب لا تجد صداها في قلوبكم؛ لأنَّ الكلمة لا يكون لها وقعٌ أو تأثير إلا إذا تهَيَّأت لها عقول المخاطبين وإدراكاتهم وصدورهم تهَيَّؤًا يناسب قيمتها.

ومن ثمَّ ينبغي للمرء أن يتبنى هذه المسألة وأن يصبح رجبياً وشعبانياً ورمضانياً؛ أجل، عليه أن يتوحد مع هذه الأوقات السعيدة حتى يتسنى له استشعار ما تبثه في روحه وإدراكه؛ وإلا فإنَّ ظللتم كما أنتم ولم تنأوا بأنفسكم عن السطحية ولم تحقّقوا في ماهية هذه الشهور، فستدخل هذه الكلمات الجميلة التي تدور حولها من أذن وتخرج من أخرى.

وعلى ذلك فمن يُقبل على سفاسف الأمور، ولا يسعى إلى تجديد نفسه في موسم الغنائم هذا، ولا تتسم أفعاله وسلوكياته بالجديّة والاتّزان فمن الصعب جداً أن يستفيد من مثل هذه الأوقات المباركة.

البرامج المناسبة للأوقات المباركة

وللمسألة وجه آخر ذو صلة بروح المجتمع ورضاه بالأمر؛ والواقع أن الشعورَ والإحساسَ بسعة هذه الأشهر وعمقها الحقيقي شأنٌ من يحلّقون في أفق القلب والروح، والحق أن لمجتمعنا معرفة عامةً بقدر هذه الأشهر الثلاثة وبركتها، لذا يرتاد المساجد، ويتوجه إلى الله تعالى؛ ويمكن الاستفادة من هذا الواقع، فهو طريق مهمٌ إلى قلوب الناس لنبليهم

رسائل معينة، وذلك بتنظيم برامج وأنشطة مختلفة في هذه الأوقات المباركة؛ ولنا في ليالي "المعراج ونصف شعبان والقدر" أن ننظم برامج خاصة تخاطب أهل عصرنا بشرط الالتزام بروح الدين؛ وبهذا نكون قد استثمرنا تلك الليالي المباركة في تقريب الناس إلى الله، وإشعار القلوب بحقيقة الدين؛ وكما يمكن إشعار قلوب الوافدين إلى المساجد ببعض الحقائق يمكن أيضاً استغلال لقاءات المدارس والمذاكرة ومجالس العلم؛ ويحسن كذلك استغلال اهتمامات وطموحات من يعرفون عظيم قدر هذه الأشهر الثلاثة.

وأريد أن ألفت الانتباه هنا إلى بعض الأمور التي أراها مهمة في هذه البرامج: إن غايتنا من استغلال هذه المناسبات المختلفة وتنظيم جميع هذه الفعاليات هو تقريبُ الناس خطوة خطوة إلى الله تعالى بعوالمهم الفكرية والحسية، فإذا لم تبلغ بنا هذه البرامج والأنشطة إلى ذاتيتنا، ولم ترشدنا إلى سبيل معرفة أنفسنا، فإن هذا يعني أننا نشتغل بما لا طائل من ورائه؛ أجل، إن كنا نعجز عن التعبير عن الحقائق الإلهية، ولا نستطيع أن نقرب الناس من سيد السادات عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات أكثر، أو إن كنا ننظم برامج تخاطب أهواء الناس ورغباتهم، ولا يخرجون إلا بقول: "لقد أمضينا لحظات لطيفة"؛ فهذا يعني أننا أسرفنا في الوقت، أو أننا اقترفنا إثماً؛ وذلك أن كل سبيل لا تؤدي إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ هي سبيل خداعة؛ نعم، إن تسليّة الناس وتنظيم الحفلات والمهرجانات ليس شأن ولا وظيفة القلوب المؤمنة التي ترغب أن تكون ترجماناً للحق والحقيقة.

وللناس في يومنا هذا أنماط حياة فيها لهو وتسليّة، فربما يخدعكم ما يُظهرونه من اهتمام في هذا الموضوع، حتى إنكم حين تنظرون إلى

سرورهم قد تظنون أنكم قمتم بعمل نافع، بينما الأهم من اهتمامهم هو صحة هذا العمل في ميزان الشرع؛ فعليكم أن تهزولوا دائماً وراء الحق حتى وإن لم يكن هناك اهتمام بالفعالية القائمة أو كانت المشاركة قليلة، أي إن تقدير الناس وتصفيقتهم ليس هو المهم، بل المهم هو أن يكون البرنامج الذي تنظّمونه يضيف شيئاً لحياتنا القلبية والروحية.

في هذه الفترة الزمنية المباركة التي تغرق فيها السماوات في لجة الأنوار وتزدان الأرض بالموائد السماوية علينا أن نوجه الناس دائماً إلى التعمق في حياتهم القلبية والروحية، وأن نربط كل عمل سنضطلع به بالأهداف السامية والغايات العالية، حتى إنه لا بد أن نغذي في كل مرة قلوب الناس معنًى وروحاً جديدين، ونجعلهم يُبحرون بنهم إلى المعنويات؛ ولتحقيق هذا علينا أن نستهدف من خلال هذه الفعاليات كلها ترغيب الناس في الآخرة، ونحرّك في القلوب الشوق إلى الفوز بالسعادة الأبدية والخوف من الخسارة، وأن نسعى في النهاية إلى أن يعي الناس روح الدين.

والحاصل أنه لا بد من جعل الجوامع والجماعات والجُمع والأشهر الثلاثة المباركة: رجب وشعبان ورمضان، وما فيها من ليلة المعراج ونصف شعبان والقدر، وسيلةً لتوجيه الناس إلى الله تعالى؛ إن كل لحظة من هذه الأوقات المباركة مواتية لبلوغ الخلود، فينبغي أن تهدف جميع ما فيها من فعاليات إلى تحقيق الغايات السامية النبيلة.

أبلغ دعوة لجلب العناية الإلهية

سؤال: من أسس الإخلاص ودساتيره عند الأستاذ سعيد النورسي: "أن تعدّوا مزايا إخوانكم مزاياكم، وفضائلهم فضائلكم، وأن تفتخروا بها شاكرين لله"^(٨)؛ فكيف نفهم هذا الدستور؟ وما الأمور التي تبلغ بنا أفق الفخر بمزايا الإخوان، ومشاعر الحسد والغيرة كامنة في طبيعتنا البشرية؟

الجواب: كثيراً ما يشير القرآن الكريم إلى أن العبادة لا تكون إلا لله، ويستخدم مفهوم "الإخلاص" تعبيراً عن هذا، قال تعالى:

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (سُورَةُ الزُّمَرِ: ٢/٣٩).

أمر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية في أوائل سورة الزُّمَرِ بأداء العبادة مع التحلي بالإخلاص، وفي السورة نفسها جدّد الأمر بالإخلاص، فقال:

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (سُورَةُ الزُّمَرِ: ١١/٣٩).

ثم أكدّت السورة مرةً أخرى أهمية الإخلاص، فقال ﷺ:

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ (سُورَةُ الزُّمَرِ: ١٤/٣٩).

أهمُّ وسيلة لحصول التوفيق الإلهي

كتب الأستاذ النورسي ﷺ في الإخلاص رسالتين اثنتين أوجز فيهما كل ما في المسألة:

(٨) سعيد النورسي: اللمعات، اللمعة الحادية والعشرون، الدستور الرابع، ص ٢٢٤.

الدستور الأول لبلوغ الإخلاص: ابتغاء مرضاة الله تعالى في كل شأن، بمعنى ألا ينشد المرء أي مطمع دنيوي أو أخروي عند امتثاله لما أمر به، وأن تكون غايته الوحيدة هي رضا الله فحسب، أما من سعى واجتهد ثم أُكْرِم بشيء من الثمار والمكافآت دون طلب فتلك عاجلُ بُشرى المؤمن، فليقابل ذلك بالشكر والحمد.

لكن في هذه الأيام التي طغت فيها الأنانية حذارٍ أن يغيب عنا ولو لحظة أن هذه النعم التي نُمطرُ بها زخًا زخًا قد تكون "استدراجًا"؛ وإن شئت ألا تخسر في وقت هو أدعى للكسب فقل كما قال الشيخ محمد لطفي أفندي^(٩):

يا لها مِنْ نعمةٍ هَذَا الْحَقِيرُ لم يَكُنْ أَهْلًا لها

فما سرُّ هباتِ كُلِّ ذاكِ اللطف والإحسان؟

لا ينبغي أن نأمن الاستدراج ألبتة؛ فليُعلم أننا إنما حظينا بأطاف تتجاوز طاقاتنا وتفوقها بفضل العناية الإلهية.

ثمة رجال عظام ذوو حكمة وبصيرة يستطيعون قراءة الأحداث قراءة صحيحة، إلا أنهم لم يحفظوا أو يوفقوا بمثل هذه الخدمات الجليلة التي تكرم الله تعالى بها على أناس صغار مثلنا؛ فلنلجأ إلى الله تعالى ولنرفع أكف الضراعة إليه قائلين: "اللهم إن كانت هذه النعم التي أسبغتها علينا ستفضي بنا إلى البغي والطغيان فإننا نستعيد بجنابك منها، اللهم إنا نتوسل إليك أن تجبرنا من الطغيان".

(٩) محمد لطفي (١٢٨٣هـ/١٨٦٨م - ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م): عالم زاهد وشاعر صوفي، ولد في محافظة أرضروم شرقي تركيا، حصل على الإجازة العلمية من كبار علماء عصره، وبعد أن عُيِّن إمامًا وخطيبًا انتسب لشيخ النقشبندية محمد يري كفراوي. عُرف بين الناس بـ"إمام ألوار"، واشتهر بلقب "سيدي أفه"، نظم أشعارًا بالعربية والفارسية والتركية، نُشرت فيما بعد تحت عنوان "خلاصة الحقائق".

إن التحلّي بالإخلاص الذي له كل هذا القدر من الأهمية في حياتنا الدينية يتناسب طرديًا مع قوة الإيمان؛ فلو أنكم تدبرتم الأوامر التكوينية والتشريعية، وسلكتم طرقًا تعبر بكم من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الحقيقي، وتوجهتم على الدوام إلى ربكم ﷻ قولًا وفعلاً وحالًا، فإن الله تعالى سيوجد عليكم يومًا بإشعال جذوة الإخلاص في قلوبكم كما أشعل جذوة الإيمان من قبل؛ فتوفّقون لأداء ما تُكلّفون به بإخلاص تام بفضل الله تعالى وعنايته.

نعم، إنّ منع الإنسان نفسه من مشاعر التظاهر، وإدراكه لقصوره وعيوبه، واستغفاره الله فورًا إذا ما تلفظ بكلمة "أنا" وتقويمه لمشاعره بل كبّحها مباشرة، كل هذا منوطٌ بزيادة اليقين في الإيمان والاعتكاف في حمى الإخلاص، فمن حظي بهاتين الخاصيتين وُفّق في مشاركة إخوانه في العمل؛ إذ يعلم أنه من المحال أن يعمل مثقال ذرة خيرًا من دون عناية الله تعالى وفضله، وأنجّع وسيلة لتحقيق النجاح وبلوغ فضل الله تعالى وعنايته هي الوفاق والاتفاق.

من أجل ذلك غنيّ الأستاذ بديع الزمان بأهمية الشخصية المعنوية وذكرها في مناسبات مختلفة، فهو يراها ذات قدر في بلوغ الإيمان الحقيقي وحسن الخاتمة، ويرى أن الحسنات التي يعملها فردٌ من جماعة تُكتب لأفراد الجماعة كلهم، فعملٌ واحدٌ يقوم به فردٌ يصبح ألفًا بسرّ الشّركة الأخروية في العمل.

مثلاً قد يشرع الشخص في الوعظ ببلدة ما، وثمة عشرة آخرون يفعلون ذلك في البلدة نفسها بروح الأخوة، فكلٌّ منهم قد يحظى بثواب جزيل وكأنه قد قام بألف عمل، لكن لا يعتمد المرء على هذا لأنه لا علم له بما كُتِبَ في ميزان حسناته، فلا يضيع ثواب عمله؛ إذ إنه لا يدّعي أن

مرّد هذه الجماليات إليه، ويوم القيامة يقول العليم الخبير: "لقد سرّتم معاً، وتلاءمت خطاكم، ولم يكن أحد منكم حجر عثرة في طريق أخيه، فجعلتُ التوفيق حليفكم فيما قمتم به في الدنيا من أعمال أخروية، فاليوم أَجْزِيكُمْ على ما قدّمتم بروح الشركة الأخروية، فأعطي كلّاً منكم مثل ثواب كلّ فرد في الجماعة؛ وبذلك يُضاعف ثوابُ أعمال صغيرة قاموا بها بروح المشاركة الأخروية.

عطاء غير متوقع

في بعض الأوقات والأحوال يضاعف الله ﷻ بعض الأعمال الصغيرة أضعافاً كثيرة لملاستها لظروف ما.

مثلاً رباطُ ساعة على ثغر الوطن قد يعدل عبادة سنة، والشهيد في سبيل الله يرتقي مباشرة في الكمالات إلى أعلى عليين وكأنه قد ركب مكوك الفضاء، وهكذا العبادة في ليلة القدر، فهي خير من ألف شهر إن أحسنّا استغلالها.

رأينا في الأمثلة السابقة أن الله ﷻ يضاعف وينمي ثواب بعض الأعمال لملاستها لظروف خاصة، فيجعل الحسنة كسنبلة فيها ألف حبة؛ وهكذا العمل داخل إطار الشخصية المعنوية، له قيمة جدّ متميزة عند ربنا تبارك وتعالى وهو يُعدّ بعداً من أبعاد الإخلاص، ويبلغ هذا ذروته بفخر الفرد من باب الشكر بمزايا إخوانه وشركائه في هذه الشخصية المعنوية.

ذات يوم أراد الأستاذ النورسي رحمه الله اختبار شعور الإخلاص والأخوة لدى طلابه، فقال لأحدهم: إن خط زميلك في استنساخ الرسائل أجمل من خطك، فما كان من المخاطب إلا أن طار بكلام أستاذه فرحاً مفتخراً بأن خط أخيه هو الأحسن، فحمد الأستاذ النورسي ربه سبحانه وتعالى

على ما لدى طلابه من شعور الإخلاص والأخوة، وقال: "راقبتُ قلبه وأمعنت فيه بدقة، وعلمت أنه ليس تصنعًا، بل شعرت أنه شعور خالص، فحمدت الله تعالى على أن في إخواننا من يحمل هذا الشعور السامي، وسينجز هذا الشعور بإذن الله الكثير الكثير من الخدمات، والحمد لله أن ذلك الشعور الأخوي أخذ يسري في صفوف إخواننا في هذه المنطقة"^(١١).

نعم، إذا كان العمل استنساخًا ونشرًا وتوزيعًا لكتاب مثلاً فلا يهم من الذي فعل، فليفرح المرء بأن أخاه هو من قام بهذا، وعليه أن يؤثر غيره ليحافظ على خلوص قلبه لأن النجاح في أي أمر له جوانب تنذر بالخطر؛ فقد يعزو الإنسان هذا النجاح إلى عقله وعلمه ومهارته، وقد يسيطر عليه مثل هذا الشعور لتقدير الناس وثنائهم عليه وإن لم يكن قد فكر فيه ابتداء؛ لذا ينبغي أن يسعد المرء عند قيام أخيه بهذا الأمر، وأن يفخر بمزايا أخيه شاكرًا لله فيحصل على ثواب شكره؛ وهذا ليتقي كل تلك المخاطر ولئلا يترك الأمر ويُهمل، وليعلم أنه سيكتب له في صحيفته مثل أجر ما أنجزه أخوه، وهكذا يُضاعف ثواب ما يؤدى في جماعة؛ هذا وإن تشجيع الإنسان لأخيه وتهليله له قمعًا لأنانيته وكبحًا لجماعها سيعود عليه بأنواع من الجزاء والثواب، وقد يسهم تهليل الإنسان لأخيه وتقديره له في انكشاف قدرات هذا الأخ ومواهبه، ويشجعه على أداء أكثر تميزًا في الأعمال المهمة الأخرى، فمن كان سببًا في هذه الأعمال كلها فسينال حصته من ثواب ما قام به إخوانه بلا ريب.

المذاكرة مفتاح لأبواب الإخلاص الآتية

ذكرنا آنفًا أن الإخلاص والصدق والوفاء يتناسب تناسبًا طرديًا مع الإيمان؛ فالإنسان يوفق إلى الإخلاص بقدر عمق إيمانه، إذاً عليه ألا

يكتفي بما حصَّله في مسألة الإيمان، بل عليه أن ينقَّب ويقلِّب ويحقِّق دائماً في الأوامر التشريعية والتكوينية قائلًا: "هل من مزيد؟"، حتى يقطع المسافات في سبيل الإيمان والمعرفة.

أجل، على الإنسان أن يسعى ويجتهد بلا فتور في هذا السبيل، ويطوِّف في مراتب اليقين، ويرقى دائماً من مرتبة إلى أخرى.

ثم إنه يجب أن يدعم بعضنا بعضًا لتغدو دساتير الإخلاص روحًا لحياتنا، فإذا ما اجتمعنا تناقشنا وبحثنا في مثل هذه المسائل، ولكن حذار أن يتسم هذا الأمر بالسذاجة والسطحية كأن تقول لفلان مباشرة: "عليك بالإخلاص!".

وإليكم هذه الحادثة مثلاً: لما كنت طالبًا لم يكن لي إلا بنطال واحد، أغسله، ثم أضعه تحت الفراش لألبسه مكوياً في الصباح، لا أعلم فلعل هذا ضعف أو عقدة نقص لكوني من أسرة فقيرة، وذات يوم جاءني صديق مقرب وقال -وهو يقصد البنطال المكوي-: "أما كان الأولى أن تتقي الله بعض الشيء؟"؛ لا فضَّ فوه، يا له من صديق!، لكن لم أستطع أن أستوعب حتى الآن علاقة التقوى بكَيِّ البنطال.

أجل، ليس من الصحيح أن نحدِّث مخاطبيننا بأسلوب كأننا نملي عليهم أوامرنا حتى وإن كنا مخلصين في هذا، خاصة أننا عندما نستخدم أسلوب التعالي تجاههم ونستثني أنفسنا ونزكِّها نكون قد تجاوزنا الحدَّ، أمَّا الطريق أو المنهج المتعين في هذا فهو إعمالُ الفكر في بحث المسائل ومناقشتها ومخاطبة الآخرين بالطف الأساليب وأنسبها حتى لا نجرح مشاعر أحد أو نكسر خاطره.

وقد حملت أهمية الإخلاص الأستاذَ بديع الزمان على أن يوصي

بقراءة "رسالة الإخلاص"^(١١) مرة على الأقل كل أسبوعين، لعل هناك من قرأ هذه الرسالة المهمة عشرات المرات، وإذا ما ذكرت كلمة من أي فقرة أكملها كلها عن ظهر قلب، لكن القراءة السطحية لا تكفي، بل لا بد أن تكون القراءة أكثر عمقاً وشمولية ليغدو الإخلاص روحاً لحياتنا، ويتشربه القلب والروح.

أجل، لا بد أن نقوّم طريقة القراءة ونجدها حيناً بعد حين حتى نخلصها من الرتابة ونضفي عليها حيوية وعمقاً جديداً.

مثلاً ابحثوا الموضوع بالتفصيل، وعودوا به إلى الكتاب والسنة، ثم ادرسوه وحلّلوهم معاً في جلسة مذاكرة ومناقشة، فإن فعلتم فستقولون: "الحمد لله أننا استفدنا من هذا الموضوع، فكم من الأمور كنا نجهلها، وكم مسألة مهمة اكتشفها هذا العالم الجليل في عهد مبكر، فرغم قراءتنا مراراً لهذا الموضوع لم نكن ندرك أهمية هذه المسألة بجوانبها كلّها".

نعم، إن استخراج أعذب الأفكار من الأعماق منوطٌ بالمذاكرة والمناقشة، وفي المثل: "الْعِلْمُ بِثَرِّ دِلَاوْهَا الْمَذَاكِرَةُ".

أجل، إن لطرق المسائل بالمذاكرة والمناقشة أهمية كبيرة جداً، قال ﷺ: "مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"^(١٢)؛ وردت في الحديث عبارة "يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ"، ومعلوم في الصرف أن "التدارس" من باب "التفاعل" الدالّ على "المشاركة بين اثنين فصاعداً"، أي إن أي كلمة من هذا الباب تدل أن شخصين أو أكثر قاموا بعمل واحد، فالتدارس هو مباحثة ومناقشة لمسألة ما في حلقة علم بين

(١١) سعيد النورسي: اللغات، اللغة الحادية والعشرون، ص ٢١٩.

(١٢) صحيح مسلم، العلم، ٣٨.

شخصين أو أكثر، وللشيخ محمد لطفي أفندي في أهمية حلقة العلم:

إِلَى الْحَلَقَةِ أَيَا طَالِبٍ فِيضُ اللَّهُ إِلَى الْحَلَقَةِ هَلُم!

إِلَى الْحَلَقَةِ أَيَا عَاشِقِ نَوْرِ اللَّهِ إِلَى الْحَلَقَةِ هَلُم!

وفي حديث آخر يقول ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضَلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلُؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: "مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟" فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: "وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟" قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: "وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟" قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ، قَالَ: "فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟" قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: "وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟" قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: "وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟" قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، فَيَقُولُ: "قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَاعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا"، فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَيَقُولُ: "وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ" (١٣).

إذاً علينا أن نعمل بروح الأخوة لنبلغ الإيمان التحقيقي والإخلاص، بل علينا أن نطبق مبدأ الشركة في بحث المسائل على أرضية المذاكرة، هذا في باب الأسباب، وكذلك علينا أن نعتصم بالدعاء ونلوذ بالعناية الإلهية؛ عسى الله أن يمنَّ علينا جميعاً بروح الأخوة التامة والإخلاص الكامل في فترة حرجة طغت فيها الأنانية.